كلام كارنجي عن نفسهِ

نشر المقتطف في اوائل العام الماضي مقالة وجيزة فيها طرف من ترجمة هذا المحسن الشهير والغني الكبير وقد رأيتُ الآن مقالة وجيزة من قلمهِ نفسهِ وصف فيها احوالهُ في صباهُ وكيفية ارتقائهِ واكتسابهِ الاموال الطائلة فرأيت ان اترجمها افادة للشبان من قرّاء المقتطف لما فيها مما ينهض الهمم ويقوي العزائم قال:

" اضطررت لحسن حظي ان اعمل عملاً نافعاً لي ولغيري وانا صغير السن جدًّا لاني كنت بكر والديَّ وكانا فقيرين . وكان ابي حائكًا من اهالي اسكتلندا وكانت احوالهُ حسنة نوعاً لما ولدتُ كان عندهُ اربعة انوال من الانوال التي ينسج بها النسيج المعرَّق المعروف بالدمشقي وعندهُ صنّاع ينسجون بها وذلك قبل استعمال البخار في معامل النسج . وكان التجّار يقدمون الغزل للحاكة فيحيك هؤلاء لهم ما يطلبونهُ منهم

" ولما اتسع نطاق المعامل الكبيرة ضعف شأن الحاكة الصغار الذين يحيكون بايديهم وكان ابي من جملة الذين اضرَّ بهم ذلك فدخل البيت ذات يوم وهو يقول انهُ لم يبقَ عندهُ

شغل لانهُ اخذ المنسوجات التي نسيجها الى التاجر فاخذها التاجر منهُ وقال لهُ انهُ ما يجاد يمكنهُ ان يعطيهُ شيئًا آخر لينسيجهُ لهُ . وهذا اول امر مهم ادركتهُ في حياتي

"ودارت المذاكرة في بيتنا على بيع الانوال الاربعة والهاجرة الى اميركا وبقي والداي يتذاكران في ذلك اياماً واخيرًا قرَّ القرار على بيعها واتباع اقاربنا الذين سبقونا الى بتسبرج باميركا . فهاجرنا ووصلنا مدينة اليغاني ابي وامي وانا واخي . ودخل ابي عاملاً في معمل من معامل القطن وجُعلت انا صانعًا فيهِ وجُعلت اجرتي خمسة شلنات في الاسبوع وكان عمري اثنتي عشر سنة وهناك ابتدأ استعدادي لمعاطاة الاعمال

"وقد تعاملتُ بعد ذلك بمبالغ كبيرة من المال ومرَّت في يدي ملايين كثيرة ولكن السرور الذي شملني حينما قبضت اجرتي الاولى يفوق كل سرور شملني بعدهُ من كسب المال لانها كانت اجرة حقيقية لتعب شديد تعبتهُ تعبٍ لولا الغرض الذي كنت ارمي اليهِ والجزاء الذي كنت انتظرهُ لحق عليَّ ان اسميهُ استعبادًا

"ولم يطل عليَّ المطال حتى رآني رجل اسكتلندي رقيق القلب يعرف بعض اقاربي فرثى لحالي وكان عندهُ معمل غزل فاخذني الى معملهِ واستخدمني وقادًا للآلة البخارية فاستصعبت هذا العمل جدًّا لانني كنت اخشى ان تزيد الحرارة فتنشق الآلة وتنسف المعمل كلهُ نسفًا وانشغل بالي بهِ حتى كنت استيقظ ليلاً فارى نفسي جالسًا في فراشي افكر في مقياس الآلة البخارية

"وبعد سنة انتقلت الى مكتب التلغراف في بتسبرج ساعيًا لتوزيع الرسائل التلغرافية على اصحابها وكان عمري اربع عشرة سنة وكأني انتقلت الى عالم جديد

"والاولاد الذين يوزعون التلغرافات يطمعون في ان يصيروا من العمَّال الذين يدقون الاشارات التلغرافية على مفتاح الآلة ولذلك تراهم يبكّرون الى المكتب قبل العمال ويتمرَّنون على استعمال مفتاح التلغراف ويخاطب بعضهم بعضًا من مكتب الى آخر فحذقتُ حذقهم وتعلمتُ استعمال مفتاح التلغراف . وذات يوم كنت واقفًا امام الآلة قبل مجيء العمال فاخذ مفتاحها يضرب باشارة برقية من فيلادلفيا وهي خبر وفاة فتجاسرت واخذت الخبر بنفسي وسلمتهُ للكاتب قبل مجيء العامل ومن ثمَّ صار العمَّال يكلفونني لاقوم مقامهم اذا غابوا

"وكنت حادَّ السمع فتعلمتُ حالاً ان افهم الاشارات التلغرافية من مجرَّد سمعها وكان ذلك نادرًا جدًّا في اميركا لا يستطيعهُ الاَّ اثنان فقط في كل الولايات المتحدة على ما اظن وللحال انتبه رؤسائي اليَّ وجعلوني من العمال وقطعوا لي راتبًا حسبتهُ عظيمًا جدًّا وهو خمسة

جنيهات في الشهر او ستون جنيهاً في السنة . وتمّ خط سكة الحديد الواصل الى بتسبرج وكان مديرهُ النهامة توما سكوت يأتي الى مكتب التلغراف مراراً كثيرة ليكلم رئيسهُ المدير العام في التونا فعرفني . ثم لما مدَّت تلك السكة الحديدية العظيمة خطاً تلغرافياً خاصاً بها استخدمني كاتباً لهُ وعاملاً لتلغرافهِ فانتقلت من مصلحة التلغراف الى مصلحة سكة الحديد. وارتفع راتبي دفعةً واحدة من خمسة جنيهات في الشهر الى سبعة جنيهات فحسبت ذلك طفرة كبيرة غير منتظرة

"وكان المستر سكوت اكرم الناس اخلاقاً واشدهم عطفاً عليَّ فقال لي ذات يوم "هل تستطيع ان تأتي بمئة جنيه لاشتري لك بها اسهماً" . وللحال انتبهت فيَّ ملكة الكسب وقلت في نفسي انهُ ان كان رئيسي قد تنازل للمعاملة معي فقد فتحت العناية في وجهي باباً لا يليق بي سدهُ فقلت لهُ نعم يا مولاي اظن اني استطيع

"فقال حسناً هات الدراهم فان رجلاً توفي وعندهُ عشرة اسهم من اسهم شركة ادمس اكسبرس اريد ان تشتريها

"فوقعت في حيص بيص لاننا لم نكن نملك مئة جنيه ولكني كنت واثقاً بأن امي تدبر المال كيفما كان الحال وكنا قد ابتعنا بيتاً صغيراً نسكن فيهِ كان يساوي مئة ومتين جنيهاً على ما اتذكر فاجتمعتُ بابي وامي تلك الليلة وتداولنا في الامر ملياً واخيراً قرَّ قرارنا على رهن بيتنا فرهناهُ واخذت مئة الجنيه ودفعتها ثمن العشرة الاسهم ولكن لم يعرف احد ان ابي وامي رهنا بيتهما لكي يعطيا ابنهما رأس مال. ولما وُزّع علينا الربح الشهري استغربناهُ كثيراً لاننا لم نعتد قبض شيء غير اجرة عملنا

"وحدث بعد مدة ان فلاَّحاً على وجههِ سمات الصدق والامانة دنا مني وانا راكب في سكة الحديد وقال لي بلغني انك مستخدم في شركة سكة الحديد واريد ان اريك شيئاً. واخرج من كيس صغير معهُ مثال مركبات النوم الاولى . هذا هو المستر ودرف مستنبط مركبات النوم التي ضمَّت بعدئذٍ الى مركبات بلمن . فلما وقع نظري عليهِ رأيت فائدتهُ حالاً وطلبت منهُ ان يأتي الى التونا في الاسبوع التالي

"ولما رأى المستر سكوت هذا المثال ادرك فائدتهُ حالاً واتفق مع المخترع على تجربة مركبتين في سكة بنسلفانيا وعرض المستر ودرف سهماً عليَّ فاشتركت معهُ حالاً ولكنني لم اعلم من اين آتي بالمال المطلوب وكان ثمن المركبتين اقساطاً شهرية وخصني من القسط الاول ٤٤ جنيهاً ولم يكن معي منها شيء فحرتُ في امري ثم خطر ببالي ان استدين المال من البنك

الذي هناك فمضيت وقابلت مديرهُ وطلبت منهُ ان يدينني المال المطلوب وتعهَّدت ان اوفيهُ بدفع ثلاثة جنيهات كل شهر من اجرتي الشهرية فبشَّ في وجهي وقال لي لا بأس عليك يا ابني وقرضني المال المطلوب وحينئذٍ امضيت اول تحويل وانا مفتخر بنفسي حاسبٌ انني صرت من رجال الاشغال . نعم امضيت اول تحويل وقبلهُ البنك مني وهذا هو سرُّ افتخاري لان كل احد يستطيع ان يمضي تحويلاً ولكن ليس كل احد يستطيع ان يجد بنكًا يقبل تحويلهُ

"ووفر الربح من مركبات النوم فدفعنا منهُ الاقساط الباقية ومن هذه المركبات ربحت اول ربح كبير

"وبعد قليل جُعلتُ مديرًا لفرع بتسبرج من فروع سكة الحديد . وكانت كباري (جسور) سكك الحديد من الخشب كلها ورأيت شركة بنسلفانيا تمحن كبريًا من الحديد المسبوك فقام في نفسي ان كباري الخشب لا تصلح في المستقبل لسكك الحديد وللحال انشأت شركة في بتسبرج لعمل كباري الحديد . وكان صهري منها ٢٥٠ جنيهًا ولم يكن هذا المال معي لكن البنك قرضني اياهُ وشرعنا في العمل فنجحنا نجاحًا عظيمًا جدًّا وبنت شركتنا اول كبري حديد على نهر اوهايو وكان اتساعهُ ٣٠٠ قدم ثم بنت كباري كثيرة بعدهُ

"هذه بداءة انشائي لمعامل الحديد وكنت استعمل ما اربحهُ من العمل الواحد في بناء معمل آخر وهلمَّ جرًّا"

هذا ما كتبهُ المستر كارنجي عن نفسهِ . وقد نقل المقتطف عنهُ في اوائل العام الماضي ان ثروتهُ تقدَّر الآن بنحو اربعين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ السنوي منها يبلغ مليونين من الجنيهات اي يبلغ دخلهُ اليومي نحو ٥٤٨٠ جنيهًا . وهو على غناهُ المفرط وكبر سنهِ طلق المحيَّا انيس المحضر كأنهُ شاب في السادسة عشرة . لم يورثهُ والداهُ شيئًا من المال ولكنهما اورثاهُ صحة جيدة واخلاقًا رضية وآدابًا رائعة فتراهُ ممتلئًا صحة ونشاطًا لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليهِ . وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تُمَلُّ كتابتهُ ولو كانت في الاحصاء

واعظم ما امتاز بهِ كرمهُ الحاتمي على ما ينفع الناس فقد تصدَّق في السنوات العشرين الاخيرة باكثر من ستة ملايين من الجنيهات . وآخر شيء تصدَّق بهِ مليون جنيه تدفع معاشات للعجزة من العمال في معاملهِ ومليونان ونصف مليون جنيه لانشاء مكاتب عمومية في كثير من المدن

نجيب صروف